المبحث الأول
معبر الحروب الصليبية وتأثيرها على الفكر الأوربي

للإحاطة بدور الحروب الصليبية التي شنتها الكنيسة في أوربا، على الشرق الإسلامي، قسمت الموضوع للفقرات التالية:

اولاً: حقيقة الحروب الصليبية وأسبابها.

شهد الشرق الإسلامي في نهاية (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) حملات عسكرية مسعورة جاءت من الغرب الأوربي شنها البيزنطيون والأوربيون الغربيون على الشرق الأسلامي، وبتحريض وتشجيع ومباركة الكنيسة ورؤوسها[1]، ومن أجل أن يشجع بابا الكنيسة الكاثوليكية جموع النصارى على الإشتراك في الحرب الصليبية وعدهم برفع العقوبات عن المذنبين منهم وإعفائهم من الضرائب، وحمايتهم من أي إعتداء عليهم ورعاية الكنيسة لأسرهم [2]، وكان لإنتشار المعتقدات النصرانية في تلك المدة حول قرب القيامة في الألفية[3]، الذي ساد بين نصارى القرون الوسطى، إنتاب الأوربيين شعور عارم بالندم لإنغماسهم في الشرور وأثام ومظالم؛ أقبلوا على الكنائس ينشدون التكفير عما صدر منهم من آثام[4]، وفي ظل هذا الشعور المفرط و إيحائاً من هذا الجو المغلق، كثرت الأقوال بالرؤى والتنبؤات، وأصبح من المألوف أن يدعي أي فرد رؤيته المسيح يأمره بتحرير قبره في أورشليم (القدس) من أيدي الكفار والوثنيين العرب[5]، ومنهم من يرجع أسباب الحروب الصليبية إلى أسباب سياسية محضة، منها لتقوية مركز الكنيسة الكاثوليكية البابوية و إثار الحماسة الدينية في نفوس النصارى[6] وبالتزامن كانت الشعوب الأوربية تعاني من مجاعة بسبب نقص الغِلال و إحتكار التجار وبخاصة اليهود لها مما زاد في أسعارها فإضطر الناس إلى أكل الأعشاب [7]، وكان من الأوربيين من وجدوا في الدعوات للحروب الصليبية، فرصة للهرب من واقعهم المؤلم تحت نير الكنيسة، والسعي للحرية التي يتمتع بها إخوانهم النصارى الذي عاشوا في ظل الحكم الإسلامي، لذا يرى بعض المؤرخين أن ذهاب الأوربين في الحروب الصليبية كانت حملة للخلاص من قيود الكنيسة[8]، وكما لاننسى الدور الكبير الذي قامت به إيطاليا ولاسيما البندقية و جنوا وبيزا في الحروب الصليبية، بعد أن قامت هذه المدن بتوسيع نشاطها التجاري في البحر المتوسط مما أدخلها في منافسة مع المسلمين لأنهم رأوا في النشاط الإسلامي خطراً على

---

(1)الربيعي، عبدالله بن عبدالرحمن، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوربي خلال الحروب الصليبية، الرياض، 1415 هـ - 1994م، ص 22.

(2)مونروند، مكسيموس، من تأريخ الأرض المقدسة المدعوة حرب الصليب، ترجمة كيريوكيريو مكسيموس مظلوم، طبع الرهبان الفرنسيكان، القدس، 1841م، ج1 ص 17

(3)قاسم، قاسم عبده، أيديولجية الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، 1999م ص 34.

(4)رانيسمان، ستفن، تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1981م، ج1 ص 180ص181.

(5)يوسف، جوزيف نسيم، في الحروب الصليبية الأولى، دار النهضة، بيروت، ط3، 1981م، ص 64.

(6)عاشور، سعيد عبدالفتاح، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار القلم، القاهرة، 1964م، ص ص22-23.

(7)عاشور، سعيد عبدالفتاح، أوربا في العصور الوسطى، مكتب الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، ج1 ص ص 429- 430.

(8)عاشور، سعيد عبدالفتاح، الحركة الصليبية، مطالع سجل العرب، القاهرة، ط2، 1971م، ج1 ص 24.

مصالحهم التجارية والإقتصادية لذاك أيدوا الفكرة الصليبية وعملوا على إنجاحها، لأن إستيلاء لصليبيين على سواحل الشام سوف يتيح لهم مزيدا من الأرباح التجارية [1].

قال لوبون ((لم تكن الحروب الصليبية التي تمخض عنها العالم سوى نزاع عقيم بين من أقوام الهمج وحضارة تعد من أرقى الحضارات التي عرفها التأريخ))[2]، وعليه فقد أكد المؤرخين على أهمية الشرق كمعبر من معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا و وسيلة من وسائل التأثير الشرقي الذي أدى إلى تقدم أوربا وتطورها أبان القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية [3]

ثانياً: الأثار الفكرية للحروب الصليبية على أوربا.

ا-التأثر في مجال اللغة.

ففي اللغة تسربت الكثير من المفردات و المصطلحات العربية التي كانت شائعة في المجتمع الإسلامي في الشرق والغرب الإسلامي إلى اللغات الأوربية، وهذه المفردات التي نقلت إلى اللغات الأوربية خضعت لقواعد اللغة اللاتينية، وتصحفت أكثرها في مراحل النسخ، حتى صار من الصعب تمييز أصولها العربية [4]على سبيل المثال:

كلمة تعريف، في الأنكليزية (Tariff)، وفي الفرنسية (Tarif)، وفي الإسبانية و البرتغالية (Tarifa)[5]، وليست الكلمة العربية المقابلة تعريفه كما يظن [6].

وكلمة سُكر، ففي الإنكليزية (Sugar) ، وفي الفرنسية (Sucre)، وفي الإسبانية (Azucar) [7].

وكلمة جّلاب (وهو شراب معروف يصنع من بعض الأعشاب المعطرة)، ففي الإنكليزية (Julep)، وفي الفرنسية أيضاً (Juhep)، وفي الإسبانية والبرتغالية (Jalepe)، وفي الإيطالية (Jiulebbe)[8]، وكلمة الشراب

العربية1، ففي الإنكليزية (Syrup)، وفي الفرنسية (Sirop)، وفي وفي الإيطالية (Sciroppo) [9].

2- **التأثير في المجال العلمي و الطبي.**

كانت أوربا كلها حتى عصر الحروب الصليبية بإستثناء إسبانيا وصقلية لأنهما كانتا تحت حكم المسلمين؛ في حالة همجية تامة، وفي شتى المجالات[10].

---

(1)عاشور، المرجع السابق، ج1ص ص 429-430.

(2)لوبون، حضارة العرب، ص 347.

(3)شلبي، أحمد، الحروب الصليبية أحدى حلقات الصراع بيت الشرق والغرب، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، مجلة دراسات في الإسلام، القاهرة ـ، العدد (62) السنة السادسة، 1966م، ص 86- 87 .؛ مرحبا، المرجع في تأريخ العلوم عند العرب، ص 692

)4(Dozy (Reinhart)Eugehman (W.H):Gl5ssaie, P.348

(5)باركر، أرنست، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة، بيروت، ط2، 1967م، ص ص 151-152.

(6)فرّوخ، عمر، الحضارة الإنسانية وقسط العرب منها، دار لبنان، بيروت، لسنة 1400هـ/1979م)هـ، ص 19.

(7)مايرهوف، ماكس، العلوم والطب، فصل في كتاب تراث الإسلام، إشراف سير توماس، نرجمة جرجيس فتح الله المحامي، دار الطلبة، بيروت، ط2، 1972م، ص 486.

(8)فيشر، هارلوت لامب،، تأريخ أوربا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة وأخرون، دار المعارف، القاهرة، 1950 م، ص 640.

(9)مايرهوف، المرجع السابق، ص 486؛ Dozy-Eugehman , 290-291 .

(10)عفيفي، تطور الفكر العلمي لدى المسلمين، ص ص 180-181.

لذا جاءَ التأثير العلمي والطبي على أوربا من خلال معبر الحروب الصليبية التي شنتها على الشرق الإسلامي كبيراً، وقد إتخذ عدة صور، منها، أسلوب المشاهدة الحية لأنماط التطور العلمي والطبي المباشر والمحسوس للأثار الطبية و العلمية الذي توّصل إليه المسلمون في الشرق الإسلامي من إنتشار المؤسسات العلمية كالمدارس المتخصصة و المتطورة لمختلف العلوم والفنون، وإنتشار الموسسات الصحية الكبرى كالمشافي العامة وبتخصصاتها المختلفة التي كانت السمة المميزة للشرق عن الغرب الأوربي، وكثرة الأطباء الماهرين في الطب وعلومه، وكذلك نبوغهم في الصيدلة، والإسلوب المتحّضر في إدارة تلك المشافي، وتمثل التأثير بأسلوب طرح الإسئلة العلمية التي عجز عن فهمها وإدراكها الصليبيين، وتارة بأسلوب الإيفاد العلمي للإقتباس والتتلمذ على أعلام الفكر العلمي والأخذ عنهم والتي دلت على مساهمة الشرق الإسلامي في النهضة الأوربية.

أما أثر الحروب الصليبية في العمل على تقارب العالم الإسلامي وأوربا النصرانية، فأمر لا يحتاج إلى الإفاضة في شرحه[1].

وقد حدث أن الإمبراطور فريدريك الثاني (125-1197.م) أحد القادة الصليبيين، لما غادر من القدس إلى عكا في طريق عودته إلى بلاده سنة (1228م)، أن بعث إلى الملك العادل الأيوبي بمسائل عن بعض الظواهر العلمية أشكلت عليه في الهندسة والرياضيات والطب، فعرضها الملك العادل على علامة وقته الشيخ علم الدين قيصر[2] الذي كان ضليعاً في العلوم، أرسل جوابها إلى فريدريك[3]، وكانت المسائل التي طرحها فريدريك ثلاث أسئلة وهي:

((لماذا تبدو الرماح والمجاذيف منحنية قليلاً إذا غمرت جزءٌ منها في الماء؟

ولماذا يبدو نجم سهيل كبيراً عندما يكون قريباً من الأفق مع عدم وجود رطوبة جوية؟.

وما سبب ظهور بقع متراقصة أمام أعيّن أولئك الذين أصيبوا بمرض نزول الماء في أول أعراض هذا المرض، أو غيره من العوارض؟))[4].

لقد كان لفريدريك الإطلاع الواسع على الثقافة العربية، وكان يكن التقدير والإحترام لعلماء الشرق، كما كان على علم بمستواهم العلمي الراقي، لهذه الأسباب كان كان يرسل إليهم الأسئلة والإستفسارات في شتى ميادين العلم [5]

وكما كان معجباً بفلاسفة الشرق، وكان يأخذ بأرائهم الفلسفية و بخاصة حول فكرة الخلود[1].

---

(1)آسين، ميجيل، أثر الإسلام في الكوميديا الإلهية، ترجمة جلال مظهر، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م، ص 229.

(2)الشيخ علم الدين قيّصر: هو الشيخ قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني الأسفوني، الملقب بتعاسيف، عالم طبيب و رياضي مهندس وفلكي متمكن، ولد في أسفون من قرى الصعيد في سنة (574هـ)، أقام مدة في حماه وخدم صاحبها محموداً والمظفر وبنى له أبراجاً فلكية، وطاحونة على نهر العاصي في غاية الدقة، وبنى للمظفر كرة رسم عليها الكواطب، تولى نظر الدواوين في القاهرة، وفي (646هـ).

أنظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م، ج1 ص 210.

(3)المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي الحسيني العبيي (ت 845هـ/ 1450م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1934م، ج1 ص 232.

(4)مايرهوف، العلوم والطب، ص 492.

(5)هونكه، شمس العرب، ص 438.

ويستشف مما ذكر ان الإمبراطور فريدريك الثاني الذي جاء إلى الشرق مع الأخرين من الصليبين محارباً للمسلمين، أنبهر بالتقدم الحضاري للشرق الإسلامي، ولأنه كان معجباً بالثقافة العربية الإسلامية، فقد شجع دراستها والترجمة منها، حتى أصبحت صقلية في عهده مركزاً هاماً من مراكز إنتقال الحضارة العربية الإسلامية، وتصرفه هذا أغضب رجال الدين النصارى، فإتهموه بالهرطقة وبالخروج عن الدين النصراني[2] فتغيرت لديه الفكرة السيئة التي روجت لها الكنيسة وقساوستها عن الشرق، من أنَّ العرب المسلمين قوم برابرة متوحشين كفار، فإزداد إعجابه للمسلمين وحضارتهم، ولكونه كان مهتماً بالعلوم، إزداد أهتمامه بهم أكثر، فعن طريقه تسربت بعض الأثار العلمية ألى أوربا.

وخلال التواجد الصليبي في المشرق وفد عدد من طلاب العلم الأوربيين إلى المشرق للتزوّد بالمعارف والعلوم التي تطورت على أيديهم، نذكر منهم (ادلارد اوف باث) الذي زار مصر سنة (1104م) وإستفاد من علماء المسلمين في الفلك والرياضيات، والذي بعد عودته الى إنكلتراعينَ معلماً للأمير هنري الذي أصبح فيما بعد الملك هنري الثاني (189-1154م)، وقد عَدَ (ادلارد) نفسه تلميذا للعلماء العرب وتحمس لمذهبهم العلمي الذي فضله على مذهب الفرنجة، وقد أعترف بذلك في كتابه (المسائل الطبيعية) الذي ألفه سنة (113.م): ((إنني وقائدي العقل، قد تعلمت من أساتذتي العرب غير الذي تعلمتموه أنتم))[3]، هذا وقد ساهم (ادلارد) بنقل المنهجية العلمية العربية التي تعلمها في الشرق من خلال عدة مؤلفات في الفلك والرياضيات و الإسطرلاب و القنص بالباز و العلوم عند العرب و بدوره أصبح ناقلاً وناشراً لهذه العلوم في أوربا [4].

وفي القرن الثالث عشر الميلادي قدم إلى مصر و الشام (ليوناردو فيبوتشي) Leonardo (Fibiacci)، الذي أصله من بيزا الإيطالية تعلم العربيةوالعلوم على يد أستاذ مسلم في الشمال الأفريقي و في الجزائر بالذات[5]، ثم سافر ألى الشرق الإسلامي ومكث بها مدة، والف سنة (12.2م) كتاب (العدد)، وهو أول كتاب في أوربا يعرض الأرقام العربية و الطريقة العشرية والصف في أوربا [6]، وبين ليوناردو في كتابه أن الرموز العشرية، التي تعلمها في الشرق تسّهل العمليات الحسابية وتوّسع من إمكانية تطبيقها[7]، وفي سنة (122.م)الف في الهندسة التطبيقية التي لم تكن معروفة في أوربا، وفي سنة (1225م) الف رسالتين لفريدريك الثاني في حل المعادلات من الدرجة الأولى والثانية[8].

---

(1)م، ن، ص 452.
(2)سيد، أشرف صالح محمد، قراءة في تأريخ و حضارة أوربا العصور الوسطى، شركة الكتاب العربي، بيروت، 2008م، ص71.
(3)العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1980م، ج1 ص 111
(4)م. ن، ص 112.
(5)حتي، تأريخ العرب الموجز، ص 210؛ هونكة، شمس العرب، ص ص 90-91
(6)العقيقي، المرجع السابق، ج1ص 117.
(7)واط، منتغمري، أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوربا، ترجمة جابر ابي جابر، منشورات وزارة الثقافة، - دمشق، 1981م، ص 129.
(8)العقيقي، المرجع السابق، ج1 ص 117.

وطبيعي أن هذه المؤلفات الرياضية التي نشرها ليوناردو في أوربا كانت من المحصلة العلمية لإتصاله بعلماء الرياضة العرب المسلمين، وبإطلاعه على الكتب العربية في هذا المجال.

حتى تطوّر الأمر في تأثير الحروب الصليبية العلمي على طلاب العلم من الأوربيين، المحبين للمعرفة، أخذوا يفدون الى الشام لدراسة الطب في مدرسة طرابلس، بعد تعلمهم وإتقانهم اللغة العربية[1].

وحدث أن وفد بعض الأطباء المرافقين للحملات العسكرية الصليبية أخذتهم الدهشة للإبداع الطبي في العلاج وتشخيص الأمراض، فإقتبسوا الكثير من الشرق ونقلوها معهم الى أوربا، ومنهم الجراح الإيطالي (هوج البولوني)، الذي قدم الى الشرق سنة (1218م) ومكث ثلاث سنوات، إطلع خلالها على طرق العلاج وإتصل بالأطباء المسلمين ليكتسب الخبرة العملية، وكم كانت دهشته عظيمة عندما رأى المستشفى العسكري المتنقل الذي يرافق الجيش خلال المعارك، وأثناء حصار دمياط تعرف هوج على الطريقة البسيطة التي يضمد بها المصابون، بلف الجروح بقطعة ساخنة مبلولة بالزيت، ثم تترك مدة اسبوع حتى تندمل[2]، كما ادى إعجابه بطريقة تخدير المريض قبل العمليات الجراحية، ورأى عملية تجبير الكسور، وعندما رجع هوج الى أوربا سنة(1221م)، إهتم بنقل ما تعلمه من طرق العلاج المختلفة التي تعلمها، وترك بعد وفاته مدرسة للجراحة في بولونيا يتولاها ابنه الذي أوصاه بتضميد الجروح على نحو ما تعلمه هو من العرب في الشرق [3].

أما في مجال الطب، لقد لاحظ الصليبيون أن الشرق الإسلامي كان حافلاً بالمستشفيات التخصصية الكثيرة والأطباء المهرة والصيادلة الحاذقين، والخدمات الممتازة للمرضى فيها، ففي القاهرة نجد المارستان الذي بناه صلاح الدين الأيوبي وعين عليها مسؤلاً من كبار الأطباء مهمته الإشراف المستشفى وتوجيه الممرضين لخدمة المرضى، وجعل من إختصاصه ايضاً المحافظة على الصيدلية وتنظيم صرف الأدوية، وكان من نظام المستشفى ملاحظة المرضى الراقدين صباحاً و مساءاً، وتنظيف الأسرة والأغطية وتقديم الأغذية والأدوية للمرضى في مواعيدها المحددة [4]، وكان لا يؤذن للمريض بالخروج إلا إذا تحسنت صحته وبتقرير الطبيب، وكان المريض المتماثل للشفاء قبل أن يغادر المستشفى يعطى كسوة وأدوية ونفقة تؤمن له الغذاء اللازم لتمام تماثله للعافية في فترة النقاهة في منزله[5]، وفي الإسكندرية أمر السلطان صلاح الدين ببناء مستشفى للطلاب المغتربين و حمامات للنظافة،وكما أجرى عليهم إعاشة من الغذاء الكافي لهم، فإذا تعذر على الطالب الذهاب الى المستشفى المخصص له، ذهب إليه الممرضون ثم عادوا للطبيب فيقرر له الدواء المناسب[6]، هذا فضلاً عن مارستان أخر أنشأه المنصور قلاوون في القاهرة سنة (682هـ /1283م)، والذي جعله وقفاً مجانياًعلى الفقراء والأغنياء على

---

(1)التدمري، عمر عبد السلام، الحياة الثقافية في طرابلس في القرون الوسطى، دار فلسطين، بيروت، 12973م، ص 69.
(2)هونكه، شمس العرب، ص ص 300- 301.
(3)واط، أثر الحضارة العربية، ص 143.؛ هونكه، المرجع السابق، ص300ص301
(4)ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني (ت614هـ/1217م)، تذكرة بالأخبار عن إتفاقات الأسفار، المشهور برحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني،، ب/ت، ص 52.
(5)البلوي، المفرق في تحلية علماء المشرق، ص 219.
(6)ابن جبير، المصدر السابق، ص 46.

حد سواء[1]، وقد بلغ من أهتمامهم بالمستشفى بأن خصصوا له ميزانية سنوية ضخمة قدرت بأربعين ألف مثقال ذهب سنوياً، أربعة آلاف منها رواتب الأطباء والصيادلة والممرضين، والباقي مصاريف طعام وأدوية وصيانه[2]، أما في الشام فقد إتخذ السلطان صلاح الدين الأيوبي، من كنيسة مهجورة قرب كنيسة القيامة في القدس مارستاناً وقفاً وأمده العقاقير والأطباء[3]، وعين عليه الطبيب النصراني موفق الدين يعقوب بن سقلاب[4]، وكانت في كل هذه المشافي،أطباء وطلاب علم الطب، وجراحون وأطباء عيون وحتى المجبرون(العظام)، وكان المرضى يرتاحون على أسرة مغطاة بشراشف، وكان الطبيب يزورهم مرة في اليوم، ويترك الأشراف المباشر للمرضى الراقدين الذين يتواجدون عندهم،فيقدمون للمرضى الدواء يوميا والطعام، ولم تكن الخدمات تختلف كثيرا عن حياة المرضى الأن[5] وفي دمشق بنى نور الدين زنكي مارستاناً أوقفه على المرضى الفقراء والأغنياء والمساكين[6] وعين عليه أبا المجد بن أبي الحكم[7] مشرفاً عليه.

ويخبرنا المقريزي أنه خلال المعركة التي وقعت بين المسلمين والفرنجة سنة أربع وستين وستمائة أي (1265م) جهز الظاهر بيبرس خيمة فيها أطباء وجراحون وأدوية لإسعاف من يصاب من الجنود أثناء المعركة[8].

ومن الظواهر الحضارية في المشرق الإسلامي، في نظم وإدارة المؤسسات الصحية إنه لايتولى رئاسة الأطباء (نقابة الأطباء) إلا طبيب حاذق معروف له بالعلم والخبرة والأمانة كما هو الحال مع الطبيب الشيخ السديد[9]، وبقي االشيخ السديد في منصبه هذا إلى أن يتوفي طاعناً

---

(1)ابن خلدون، ولي الدين ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ/1483م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1971م، ج5 ص 403.

(2)الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (ت 872هـ1467م)، زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك، أعتناء وتصحيح بولس راويس، مطبعة الجمهورية، باريس، 1794م، ص 29.

(3)العليمي، عبد الرحمن بن محمد المقدسي الحنبلي (ت 928هـ/1521م)، الأنس الجليل بتأريخ القدس والخليل، المطبعة الحيدرية، النجف، 1968م، ج1 ص 991.

(4)الطبيب موفق الدين يعقوب بن سقلاب: هو طبيب نصراني ولد في القدس وتعلم على يد راهب خبير بالطبيعيات والهندسة والحساب، وتتلمذ على يد الطبيب ابي منصور النصراني وإشتغل تحت إشرافه، وكان سقلاب من اعلم الناس بكتب جالينوس وكان ملتزماً قوانينه في الطب، وكان مشتهراً بالدقة في العلاج، كما كان اه إلمام باللغة اللاتينية توفي سنة خنس وعشرين وستمائة.
ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ص 697-699.

(5)ريسلر، الحضارة العربية، ص 199.

(6)م. ن، ص 69.

(7)هو أفضل الدولة أبا المجد محمد بن أبي الحكم عبدالله بن المظفر بن عبدالله الباهلي، طبيب أندلسي، عالم بالهندسة والموسيقى، سكن دمشق حتى توفى فيها سنة (570هـ).
ينظر: الزركلي، الأعلام، ج6ص 295.

(8)المقريزي، السلوك، ج1 ص 546.

(9)الشيخ السديد: هو الطبيب ابو منصور شرف الدين بن سديد عبدالله بن علي بن داود بن المبارك، غلب عليه لقب الشيخ السديد لقب أبيه، كان رئيس الأطباء في الديار المصرية، خدم بالطب خمس من أمراء الدولة الفاطمية، ثم خدم بالطب السلطان صلاح الدين الأيوبي مدة مقامه بالقاهرة، عاش عمراً مديداً، وجمع ثروة طائلة، وهو من بيت علم بالطب، وكان أبوه طبيباً للخلفاء.

بالسن، كما حدث للسديد عند وفاته سنة إثنين وتسعين وخمسمائة بالقاهرة[1]، وكذلك من الصفات الواجب توفرها برئيس الأطباء، أنى يكون ذا تجربة وخبرة، وأن يحلف على لا يجيز لمهنة الطب إلا من كان ضالعاً فيها وأن يوكد على أن لا يفشوا أسرار المرضى، ولا يمنح رخصة لمزاولة الطب إلا إذا كانت لديه معدات طبية كاملة، إمعاناً في ضمان المعالجة بطريقة أفضل [2].

من المظاهر الحضارية في تطوير النظم الطبية المعتمدة في الشرق الإسلامي ايضاً والإطلاع على أخر المستجدات في علم الطب، الإجتماع الدوري لمجلس الأطباء، والذي كان يعقد في منزل أحد الأطباء وهو بمثابة ندوة طبية يتناولون فيه الأراء وما إستجد من أمور الطب، وكان من أشهر هذه المجالس مجلس الطبيب أبي لعشائر هبة الله بن جميع[3] في القاهرة، والذي أثر عنه بأنه دقيق الملاحظة يروى أن جنازة مرت من أمامه يحملون ميتاً فصاح بهم أن أعيدوه الى بيته، ثم أمرهم بنزع الكفن منه ووضعه في الحمام، ثم صب عليه ماءاً حاراً ورش عليه بدوار عطّسه فبدت منه حركة خفيفة، فقال لهم أبشروا بشفائه، فقد سأله الناس كيف عرفت أنَ الرجل ام يمت بعد ؟؛ فقال إني نظرت إلى قدميه فوجدهما قائمتين، وأقدام الموتى تكون منبسطة[4]، ومن الأساليب كذلك، رقي المنهج الدراسي العلمي لطلاب الطب، حيث كان من المتبع في دراسة الطب أن يقرأ الطالب عدداً من الكتب الطبية في حضرة أستاده كي يشرح له ما قد يصعب علية فهمه، ويصوّب ما قد يخطئ في فهمه، حتى إذا إنتهى الطالب من المرحلة النظرية في الطب، يبدأ في الرحلة العملية فيقوم بمرافقة أستاده لمشاهدة أستاده وهو يشرح على الهياكل العظمية بصورة طبيعية ليتعرّف وظائف العظام وأشكال المفاصل وبذلك يسهل على الطالب فهم الكتب التي درسها في التشريح[5]، وعلموا إن تنظيم المشافي كان واحداً من أروع إبداعات الثقافة الإسلامية [6]، وأما الصيدلة فقد كانت في كل مستشفى من مشافي الشرق يتولى أمرها الأطباء بتوفير المواد اللازمة لتركيب الأدوية وتخزينها في خزائن خاصة في المستشفى لتكون جاهزة تصرف بأمر الأطباء على مرضى المستشفى، وقد كان الطبيب رشيد الدين

أنظر: ابن عماد الحنبلي، عبد الحي أحمد بن محمد الدِمشقي (ت 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأنؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1406هـ - 1985م، ج6 ص 506.

(1)ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 574.

(2)ابن بسام، محمد بن أحمد المحتسب، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، 1968م، ص ص 108-109.

(3)ابو العشائر هبة الله: هو الموفق شمس الرئاسة، أبو العشائر بن يعقوب بن إسماعيل ابن جميع الإسرائلي، عالم مشهور كثير الإجتهاد في صناعة الطب، حسن المعالجة، ولد في فسطاط مصر، وخدم بالطب السلطان صلاح الدين الأيوبي، وركب له الترياق الكبير المعروف بالترياق الفروقي، له مؤلفات في الطب، منها (كتاب الإرشاد امصالح الأنفس والأجساد) وكتاب (التصريح بالمكنون في تنقيح القانون)
أنظر: ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ص 576-579.

(4)م. ن، ص 577.

(5)المجوسي، كامل الصناعة الطبية، المعروف بالطب الملكي) المطبعة الكبرى، القاهرة، 1294هـ / 1877م، ج1 ص 9.؛ البغدادي، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد (ت929هـ/ 1522م)، الإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، القاهرة، ب/ت، ص 113.

(6)ريسلر، الحضارة العربية، ص 198.

الصوري[1]، الذي عمل في مارستان القدس، كان يجوب جبال الشام ومعه رسام يصور النباتات الطبية في مختلف أطوارها ومن واقع خبرته بهذه النباتات ومعرفته لها على الطبيعة الف كتاباً في الأدوية المفردة[2].

وكانت هناك رقابة مشددة على تصنيع الأدوية وقد كان من واجبات المحتسب ان يمر كل أسبوع على الصيادلة، وكل شهر على مصانع الأدوية للكشف على العقاقير والتأكد من سلامتها وخلوصها من الغش[3]، وقد عرف التخصص الطبي فيالشرق الإسلامي ولاسيما في صناعة اليد (الجراحة) وفي هذا الصدد يرزي لنا مؤرخي تلك المدة، أن رجلاً مجاهداً في الجيش المدافع في فترة الحروب الصليبية، قد ضربه إفرنجي صليبي، بالسيف فشق وجه إلى أذنيه، فجيئ به محمولاً فتولاه الجرائحي "الجراح"، فخاط وجهه ومن ثم داواه فإلتحم وعاد كما كان[4]، وحادثة ثانية، أن احد المسلمين طعن في وجه طعنه خطيرة في إحدى المعارك حتى تدات عينيه على خده، فعالجه الجرائحي، بأن أعاد العين ألى مكانها، وخاط الجرحَ بإتقان حتى أن من كان يراها لايصدق ما حدث لها [5]، وبالمقابل فإن الطب عند الأوربيين متدني للغاية،فقد كان الطب لدى الصليبين عبارة عن خرافات وشعوذة وجهل مطبق لأبسط مبادئ الطب المعروفة،ذلك بأنَ مستوى الطب الأوربي كان بعيداً جداً عن مستوى الطب العربي[6]، ودليلنا في ذلك، ما شاهده الأمير أسامة ابن منقذ(ت548هـ/1188م) عياناً، فقد روى أن هليوم دو بيور Guillaume de (Buresidgd) سيد طبرية (1141-1120م)، أخبره أثناء رحلته من عكا إلى طبرية برفقة معين الدين أُنرْ[7]، ((أنَ فارساً صليبياً من الأوربيين مرض مرضاً شديداً فجيئَ بهِ إلى قسيس عالي الرتبة، فوضع يديه عليه، وكان الحاضرون يتوقعون شفائه فور قدوم القس المحترم، ووضع القس يديه على المريض، ثم طلب شمعاً ولينه وعمله مثل عقد الإصبع ووضع كل واحدة في جانب أنفه، فما كان من المريض إلا لفظ أنفاسه فمات، ثم إلتفت القس إلى الحاضرين وقال:

---

(1)رشيد الدين الصوري: هو أبو منصور بن ابي لفضل بن علي الصوري، كان اوحد زمانه في معرفة الأدوية، ولد في صور سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ونشأ بها وأقام في القدس عامين يعمل في مارستاناتها، خدم بالطب الملك العادل الأيوبي، ثم ابنه المعظم ثم ابنه الظاهر، أقام في دمشق وكان له نجلس للطب حرر أدوية الترياق الكبير (الذي يستخدم في العمليات الجراحية) توفي سنة تسع وثلاثين و ستمائة.
ينظر: ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ص 699-700.

(2)م ن، ص 703.

(3)الشيزري، عبدالرحمن بن عبدالله الشافعي (ت 589هـ/1184م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، لسنة 1946م، ص 42ص43.

(4)ابن منقذ الشيرزي، ابو مظفر أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي (ت 548هـ/1188م)، الإعتبار،، حرره، فيلب حتي، مطبعة جامعة برنستون، 1930م، ص 63.

(5)ابن منقذ، الإعتبار، ص 55.

(6)الجليلي، تأثير الطب العربي في الطب الأوربي، ص192.

(7)معين الدين أنُر: هو وزير مجير الدين أبق بن بوري، صاحب دمشق، تولى الوزارة سنة اربع وثلاثين وخمسمائة، وكانت السلطة بيده، وكان يخشى نور الدين زنكي وينقم عليه، وفي سنة أحدى واربعين عاد الصفاء بينهما وتزوج نور الدين إبنة معين الدين، ولما حاصر الإفرنج دمشق سنة اربع واربعين أبدى معين الدين شجاعة وصلابة.
أنظر: ابن قاضي شهبة، بدر الدين ابو الفضل محمد (ت874هـ/1469م)، الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زاي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص ص 111-112.

سددت أنفه حتى يموت فيستريح))[1]، وروى ابن منقذ رواية أخرى أيضاً عن طبيب مسلم إسمه ثابت من منطقة ابن منقذ في شيزر:

((كان قد طلبه صاحب المنّيطرة الصليبي، فمكث عشرة أيام فشاهد خلالها ما تشيب لها رؤوس الولدان، من الجهل المطبق على طبهم وأطباء الصليبيين، وسوء علاجهم للمرضى، منها، أن فارساً صليبياً جاءه يشكو من دمبلة ظهرت في إحدى قدميهِ، وجاءته إمرأة قد لحقها ما يعرف بالنشاف، فعالجهما الطبيب العربي ثابت بأدوية عن خبرة وبصيرة، ولكن طبيباً صليبياً، إتهم ثابت بالجهل في علاج المرضى، وتحول إلى الفارس الذي يشكو من إحدى قدميه، وقال له مخيراً الفارس بين أن يريد العيش برجل واحدة، أو أن يموت برجلين، فإختار المسكين أن يعيش برجل واحدة، فطلب المعالج الصليبي، فارساً قوياً ومعه فأساً حادة وقاطعة، فوضع قدم الفارس على خشبة، وأمر أن يضرب ساقه ضربة قاطعة، ففعل حتى سال مخها، فمات، و إلتفتَ إلى المرأة المريضة،وقال أن في رأسها شيطاناً قد عشقها، فأَمرَ بحلق شعرها، ثم أمر بإعطائها طعام يحتوي أكثرها على الثوم والخردل، فأكلت المسكينة، فإزداد آلامها، عندئذ قال طبيبهم الجاهل، إنَ الشيطان قد دخل رأسها فأخذ الموس وشق على رأسها صليباً، ثم سلخ وسطها حتى ظهر عظم الرأس فحكه بالملح حتى ماتت))[2]، هذا مبلعهم من الغلم الطبي لأوربا في العصور الوسطوسيادة الكنيسة أصبحت ذات سيادة مطلقة، يسمح لأحد ان يقول برأي يخالف رأي الكنيسة،ولا يعارض الكنيسة أحد وإلا وستكون نهايته الموت حرقاً[3]، علماً بأن في العصورالوسطى كانت المسيحية دين أوربا والغرب وكانت تسمى بالعصور مظلمة، تقابلها في الشرق الإسلامي العصر الذهبي الذي بلغ فيه التألق الحضاري في أوج عظمته [4].

وبسبب المأسي والفضائح التي تنزل بالإنسان الأوربي إلى أحط دركات الهمجية، وفي جهلهم المطبق، وتخلفهم السقيم، في الطب وفي أسلوب معالجة المرضى، جعل الصليبين يفضلون أطباء المسلمين على أطبائهم، رغم معارضة الكنيسة الشديدة للطب والعلاج بالعقاقير الطبية وعلى رأسهم (برنار دي كاليرفو)[5] القس الصليبي المعاصر لابن منقذ الذي كان يروج للمعجزات الشفائية بين الصليبيين، فنراه يحرم على رهبانه المرضى من أن يتناولوا أي نوع من أنواع الأدوية، او يتصلوا بطبيب، ويجدر بهم حسب رأيه ان يموتوا دون أن تعبث بهم العقاقير[6]،لأن عقلية القرون الوسطى الأوربية لم تكن قادرة على فهم العلم وقدرتهُ على إستنباط

---

(1)ابن منقذ، الأعتبار، ص ص 137-138؛هونكة، شمس العرب، ص ص 215- 216

(2)ابن منقذ، المصدر السابق، ص ص 132-133.

(3)سيّد، قراءة في تأريخ وحضارة أوربا، ص 81.

(4)سعيدان، أحمد سليم، مقدمة للتأريخ الفكري في الإسلام، عالم المعرفة، تصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، عدد(131) 1998م، ص 91.

(5) (Bernard de chirvaux) برنار دي كاليرفو، مؤسس دير كاليفو، وكان أول رؤسائه، كانت نشاطه بين سنتي (1145-1130م)، إشترك في عدة مجامع كنسية ومدنية، وبتشجيع من البابا يوجينيوس الثالث (1145-1153م) ولويس السابع ملك فرنسا، روّج برنار للحملة الصليبية الثانية(1149-1147م) التي إنتهت بالفشل الذريع، ولجهوده الصليبية بالتشجيع على الهجوم على الشرق الإسلامي، منحته كنيسة روما لقب ومنصب - قديس في ستة (1174م).أنظر:

Eneyl.Brit,Encycloped en Couleur, Paris,1977,Vol1.P1010 .

(6)هونكه، شمس العرب، ص ص 222-223.

الحلول الكثيرة للمشاكل البشرية، فنسبوا كل شفاء عجيب أو إختراع علمي إلى السحر أو عمل الشيطان، لأن محدودي الإدراك والمعارف [1].

وكان أمراء الصليبيون يلجئون للأطباء المسلمين عندما يصاب أحدهم بمرض مما جعل المؤرخ الصليبي وليم الصوري يقول وبشيئ من الأسى: (أن أمراءناالشرقين "ويقصد امراء الممالك الصليبية في القدس وسواحل لبنان وسورية" تحت تأثير نسائهم يزرون بالأدوية وبالوسائل اللاتينية ولا يؤمنون إلا بالأطباء اليهود والسامريين والسورين والعرب)[2]، وعلى الرغم من موقف الكنيسة السلبي الطب والتداوي والأدوية، فقد كان تقدير أمراء الحرب الصليبية للأطبار العرب والمسلمين كبيراً،ومثالنا في ذلك، عندما أصيب بودوان بن عمّوري ملك القدس بالجذام فقد أستقدم عمّوري طبيباً من الديار المصرية هو داود بن أبي المنى[3] لمعالجة إبنه[4].

لقد علل بعض مؤرخي الحروب الصليبية، سبب إقبال الصليبين على أطباء الشرق الإسلامي وعلاجاتهم، بأن الأمراض التي أصيبوا بها في الشرق كانت غريبة على أطبائهم [5]، وهذا تعليل تعوزه الموضوعية، فقد توّضح لنا مما سبق من أن الاطباء الصليبيين لم يكونوا على المستوى الذي يسمح لهم بمعالجة الأمراض على النحو المطلوب، فهو تعليل يحتاج إلى تبرير.

وقد توقع الصليبيون أن يواجهوا في الشرق مجموعة من الناس البربر المتوحشين من العرب والمسلمين[6]، إلا أنهم إصطدموا بصخرة الحضارة الأصيلة في الشرق الإسلامي.

ونتبين من كل ما ذكر ان الحروب الصليبية التي شنها الغرب الأوربي بإسم الصليب المقدس على الشرق المسلم وحضارته، مثلها مثل اية حرب عدوانية،أراقت الدماء البريئة تحت تبريرات واهية لا تصمد امام الحقائق التاريخية التي تبنتها لنا، وان تلك الحروب كانت إحدى معابرة التأثير الحضاري على أوربا، والذي ترجم بالنقل المباشر للتراث العلمي والأقتباس المشاهد والمحسوس للتطورات العلمية للحضارة الإسلامية في شتى المجالات، وقد شمل التأثير والإقتباس صور في المجال العلمي والطبي[7]، حيث تعرّف الأوربيون الرقي العلمي في العلوم الطبيعية والطب بكثرت المشافي التي وجدت فيها وبطبيعة النظم المتطورة فيها و حذاقة الأطباء المسلمين في تشخيص الأمراض، وعلاجها، وهذ التطور الحضاري كان من السمات البارزة للمسلمين في الشرق في القرون الوسطى، فكان حافزاً للأوربيين بنقل مفرداتها من الإنتاج الفكر الإسلامي ونقلها، وان مكتبات اوربا الحافلة بذلك التراث والمخطوطات والأثار النادرة وهوخير شاهد على صحة ما ذهبنا أليه[8]، ثم العمل على تطبيقها في أوربا،التي كانت تعيش حياة من

---

(1)الحايك، نقل الحضارة العربية إلى الغرب، ص 8.

(2)حتي، فيلب، موجز تأريخ الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحة، مطبعة الغريب، بيروت، ب/ت، ص 389.

(3)داود بن ابي المنى: طبيب نصراني فاضل في الصناعة الطبية، خبير بعلمها وعملها متميز بالعلوم، وكان من أهل القدس ثم إستقر في الديار المصرية، وكانت له معرفة بالغة بأحكام النجوم.
ينظر: ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 587.

(4)م. ن، ص 587-588.

(5)رانيسمان، إستيفن، تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العربي، دار الثقافة، بيروت، 1961م، ج2ص ص 510-511.

(6)محاسنة، أضواء على تأريخ العلوم عند العرب، ص 395.

(7)الواعي، توفيق يوسف، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، 1408هـ - 1988م، ص 452.

(8)الدفاع، لمحات من تأريخ الحضارة العربية، ص 154.

التخلف والجهل وتسيطر عليها الأمية وينتشر فيها الفقر، بعد أن توهموا أن يجدوا العرب المسلمين في الشرق في حالة مشابهة لهم، مع أن بلاد المسلمين كانت تشهد أرقى عهود الإزدهار الحضاري في القرون الوسطى[1] والذي بدوره كان من أسباب التقدم الحضاري للغرب الأوربي، لأن المسلمين أضافوا شيئاً جديدا لثقافة الصليبيين وألبستهم كثيراً من الحضارة[2]، وفي هذا الصدد يشير أسامة بن منقذ في الإعتبار، قصة أستنبط منها، من أن الصليبين ترقت أخلاقهم وتحسنت طباعهم بإستيطانهم الشرق ومعاشرة المسلمين فنراهٌ بهذا الصدد يقول: ((فكل من هو قريب العهد بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين عاشروا المسلمين))[3].

أن يقظة أوربا الشاملة وفي شتى المجالات دخلت المجتمع الأوربي خلال الإحتكاك المباشر للغرب الأوربي بالمشرق الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، حتى أن أحد عقلائهم حدد التطور الحضاري بـ (النهضة الأوربية في القرن الثاني عشر)[4]، فليس من المصادفة أن تبدأ أوربا نهضتها لعلمية و يقظتها الفكرية من المناطق التي وصل إليها المسلمون، لأنهم تركوا تراثاً حضارياً رائعاً في تلك المناطق، فشكل بذلك عاملاً من عوامل اليقظة الأوربية، ذلك أن المسلمين في القرون الوسطى كانوا منفردين في العلوم والفلسفة والفنون، نشروها أينما حلت أقدامهم، وتسربت من خلالهم إلى أوربا منذ القرن الثاني عشر، وخاصة بعد مشاهدتهم الحسية لمفردات الحضارة التي حققها وتوصل إليها المسلمون في الشرق والغرب الإسلامي، وونقلوا ما توصل إليه المسلمون في التطور الطبي من الأدوات الطبية الجراحية والأدوية التي يتداون بها بل حتى ترجموا كتب خلاصة الفكر الحضاري العربي الإسلامي إلى اللاتينية التي بقيت تدرس في أكاديمياتهم العلمية حتى القرن السابع عشر [5].

ولقد تمت في بلاد الشام، في فترة الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي، وفي أنطاكية عام (1127م)، أي في (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) ترجمة كتاب (الكامل في الصناعة الطبية) لمؤلفهِ علي بن عباس المجوسي(ت326هـ/994م)، والذي عُرف لدى الغرب (Halli Abbas)، من قبل ستيفن الأنطاكي (Stephenus Antichnus)، وفي عهد ((Bohemond ll بوهيمند الثاني أمير أنطاكية (52.-542هـ /1126-113.م)، وكما ترجم أيضاً كتاب (سر الأسرار في طب العيون) في أنطاكية أيضاً عام(646هـ/1247م) [6]، وكل هذايثبت ان النقل للتراث العلمي العربي تم في عصر الحروب الصليبية، الذي هو من منافذ أطلاع اوربا والغرب على التقدم الحضاري الإسلامي، ومن ثم إعتباره معبراًوقناتاً من قنوات الإتصال الغربي بالشرق الإسلامي،والإطلاع على التقدم الحضاري له.

---

(1)لوبون، حضارة العرب، ص 566.

(2)لويس، برنار، إكتشاف المسلمين لأوربا، ترجمة ماهر عبدالقادر، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996م، ص 114.

(3)ابن منقذ، الإعتبار، ص ص 132-133.

(4)أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية، دار الفكر – دمشق، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط2، 1996م، ص 589.

(5)محاسنة، أضواء عل تأريخ العلوم عند العرب، 290.

(6)عوض، محمد مؤنس، الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الإجتماعية، 2000م، ص 375.

لقد أسفاد الصليبيون من حروبهم الصليبية على الشرق، من العلوم الطبية، وذلك لتفوق المسلمين في الطب على نظيره لدى الصليبيون، ولذا سعوا الإفادة منها ونقلها[1].

بينما جاء في مجلة اليونسكو(أن كتاب القانون في الطب بقي يدّرس في جامعة بروكسيل حتى سنة 19.9)[2]، ولقد عاش كتاب القانون في الطب للرازي مدة أطول من أي كتاب أخر كمرجع أوحد في الطب في أوربا، بعد أن وصل عدد طبعاته إلى خمسة عشر طبعة في الثلاثين السنة الأخيرة من القرن الخامس عشر، وبعدها مكن علماء الغرب بالثورة العلمية التي بدأت في القرن الثالث عشر وبلغت مراحلها الأساسية والنهائية في القرن السابع عشر[3].وقد تم نتيجة الإتصال المباشر بالمراكز الحضارية في الشرق الإسلامي عن طريق الحروب الصليبية[4]، وهذا يؤكد أن مشعل الثقافة والمدنية الذي حمله العرب المسلمون في ضوء الرسالة الإسلامية الخالدة إلى العالم الغربي في العصور الوسطى قد سهّل السبل لنشوء عصر النهضة في أوربا [5].

علماً بأن الكنيسة قد حرمت ممارسة الطب والجراحة بموجب مرسوم بابوي كنسي صدر سنة (1163م)، لأن الكنيسة حرمت صناعة الطب لإعتقادها أن المرض عقاب من الله لاينبغي للإنسان يصرفهٌ عمن يستحقهٌ، وظل الطب محجوراً إلى ما بعد إنقضاء ما يسمى عندهم بعهد الإيمان عند إستهلال القرن الثاني عشر للميلاد، وهو أبان الحضارة الأندلسية[6] ولكن بعد أخذت الكتب الطبية العربية المترجمة تنتشر في أوربا، وأطلاع الصليبين المباشر على المراكز الطبية (المستشفيات)في الشرق من خلال الحروب الصليبية، بدأ الإهتمام المباشر بالطب والجراحة بشكل جدي [7]، والتي بدأت تظهر في أوربا بعد القرن الثاني عشر، المستشفيات و ملاجئ المجذومين والحمامات العامة التي أخذوها عن العرب والمسلمين في الشرق الإسلامي [8].

إن الحروب الصليبية هي التي فتحت عيون الغرب الأوربي في القرون الوسطى، عما في الشرق الإسلامي من حضارة، وأنهت بذلك عزلتهم، وألقت ضوءاً على ما فيه من تقدم علمي مزدهر وحضارة مشرقة، وأن يقظة أوربا وصلت إليها في عصر الحروب الصليبية، لإنفراد المسلمين بمفردات التميز الحضاري في العلوم والفلسفة والفنون [9]، خاصة إذا علمنا أن أوربا في العصور الوسطى ساد بها الجهل المطبق بين فئام الناس، بسبب إحتكار الكنيسة ورجالها

---

(1)عوض، الحروب الصليبية، ص 373 .

(2)اليونسكو، مجلة بريد اليونسكو، عدد تشرين الأول، 1980م، ص 38.

(3)أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص 590؛ محاسنة، أضواء على تأريخ العلوم في القرون الوسطى، ص 299؛ شلق، علي، العقل العلمي في الإسلام، جروس بريس، طرابلس، لبنان، 1992م، ص ص 69-70.

(4)السامرائي، وأخرون، تأريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، 488.

(5)الشريقي، إبراهيم، أثر الحضارة العربية في أوربا الغربية، ضمن بحوث في تأريخ الحضارة الإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية،، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، ص 186.

(6)العقاد، أثر العرب في الحضارة الأوربية، ص 35.

(7)الربيعي، أثر الحروب الصليبية في الشرق في الفكر الأوربي، ص 125.

(8)الجليلي، محمود، تأثير الطب العربي في الطب الأوربي في القرون الوسطى والنهضة الأوربي،، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني والثلاثون، الجزء (4-3) 1201هـ - 1981م، ص 193.

(9)أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية، ص ص 589-590.

للعلم والتعليم، حيث فرضت قيوداً على حرية الفكر والبحث العلمي، وإتهمت بالهرطقة والكفر لكل من يخالف تعاليمها المقدسة، وأنزلت به العقاب الصارم [1].

لذا فقد ثبت لنا أن للحروب الصليبية التي إستمرت (671-473هـ/1.97-1272م)،للهجمة على الشرق الإسلامي، دور كبير في نقل الثقافة العربية الإسلامية المزدهرة فيها،إلى اوربا والغرب[2].

وتم ذلك من خلال الإطلاع المباشر لأنماط التطور الحضاري العلمي وفي شتى المجالات، وخاصة للتطور العلمي والطبي الإسلامي الذي أذهل الصليبين مقارنة لماهو موجود لديهم، من التطور التقني في علاج الحالات المرضية كما مربنا،وإزدهار البيمارستانات التخصصية،وبكافة انواعها، وغير من مفردات التطور العلمي التي زخر بها الشرق الإسلامي، والتي كانت من سمات الحضارة العربية الإسلامية.

المبحث الثاني
صقلية الإسلامية
وإسهاماتها في التأثير في التقدم الحضاري لأوربا

أولاً: الفتح العربي الأسلامي لصقلية (Ciclhia)

فتح المسلمون جزيرة صقلية[3] سنة (212هـ /827م)، التي كانت تحت حكم الروم البيزنطين، على يد الفقية المجاهد أسد بن فرات (212هـ /827م)[4] وإستمرت عمليات فتح صقلية

---

(1)فرح، نعيم، الحضارة الأوبية في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، لسنة 1420-1421هـ - 1999-2000م، ص 363.

(2)البدري، الطب عند العرب، ص ص 93-94.

(3)جزيرة صقلية (Ciclhia): صقلية بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضاً، من جزائر بحر المغرب مقابلة لأفريقية، وهي جزيرة مثلثة الشكل، وبين كل زاوية و أخرى مسيرة سبعة أيام. وتحتوي على ثلاث وعشرين مدينة وثلاث عشر حصناً
ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، م3 ص 416ص417.

(4)أسد بن فرات: هو الفقيه أسد بن الفرات بن سنان مولى بني سليم ابن قيس وكنيته، أبو عبدالله، من الطبقة الوسطى في أفريقية، من تلاميذ الأمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ومن أقواله: ((أنا أسد خير الوحوش، وأبي الفرات خير المياه، وجدي سنان وهو خير السلاح))، وإستشهد أسد في حصار سرقوسة من غزوة صقلية، فقد كان أمير الجيش في عملية الفتح وقاضيه، وكان أسد بن الفرات بطلاً شجاعاً، زحف إليه ملك صقلية في مئة ألف وخمسين ألف وهو حمل لواء المسلمين وهو يقرأ سورة (يس)، ثم حمل بالناس مهزم الله المشركين، وأنصرف أسد وكان الدم قد سال مع قناة اللواء على ذراعه، وقبره ومسجده موجود بصقلية.